

بسم الله الرحمن الرحيم

الصعوبات التي تواجه كليات الشريعة والحلول المقترحة

إعداد: الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة

أستاذ العقيدة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية

نابلس - فلسطين

1438هـ_217م

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستعديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنَّ حاجة الناس إلى الإيمان أشد من حاجتهم للطعام والشراب واللباس والمال والمسكن. وقد نجد مجتمعا بدون حضارة وعمران، ولكننا لن نجد مجتمعا غير متدين بدين ما على مدار التاريخ، ومن هنا تتبع أهمية دور القائمين على أمور الدين، وهم ما يسمون في الأديان المحرفة: رجال الدين، وفي الدين الحق: علماء الاسلام.

هذا وينبغي لحامل الشريعة أن تتحقق فيه المواصفات الآتية حتى يكون داعياً إسلامياً

ناجحاً:

1- الإخلاص لله تعالى، والابتعاد عن الرياء وحب الظهور.

- 2- المعرفة العامة بعلوم الشريعة، والتخصص العلمي الدقيق بأحد - أو ببعض فروعها- والمطالعة الدائمة، والتزود بالثقافة النافعة⁽¹⁾.
- 3-تطبيق التعاليم الإلهية على النفس والأهل، وعدم الفصل بين المعرفة والسلوك، وأن يكون قدوة حسنة لغيره، ومصحفا يذب على الأرض.
- 4- الصبر على مشاق الدعوة، والتأني وعدم استعجال قطف الثمرة، واحتساب الأجر عند الله، والإيمان التام بأن النتائج بيد الله وحده⁽²⁾.

ومن الأهمية بمكان أن تتوفر في طالب العلم الشروط الآتية:

- 1- الإيمان العميق بحيث يتحقق الإسلام الصحيح في شخص الداعي إليه، أي الإيمان الحي المتحرك الذي ينبثق منه سلوك طيب وعمل صالح في الأرض، فما من آية ذكرت الإيمان في كتاب الله: إلا وقرنت معه العمل.
- 2- التواضع وحسن الخلق والسيرة، والتنزه عن الكبر والابتعاد عن الغرور، وتوقي مواطن الريب والشهوات.
- 3- الحكمة واللين والموعظة الحسنة، والابتعاد عن الجدل⁽³⁾.
- 4- أن يعد نفسه ليكون داعية بحق. وذلك بأن يصحح نظريته لدراسة الشريعة، وأنها ليست مجرد استيعاب العقل للمعلومات لإفراجها بعد ذلك في ورقة الامتحان، ولكن المطلوب: إعداد الشخصية المثقفة البناءة التي تفيد بعلمها الحياة العامة العملية.

(1) انظر: علوان (عبدالله ناصح): ثقافة الداعية، ص 56، دار السلام، ط2، 1406هـ.

وزيدان (د. عبد الكريم): أصول الدعوة، ص 174، دار البيان، ط3، 1396هـ.

والغزالي (محمد): خلق المسلم، ص 217 و218، دار القلم، ط2، 1400هـ.

(2) انظر: نوح (د. السيد محمد): فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، ص 56 و57، دار الوفاء، مصر، ط1، 1412هـ.

(3) انظر: البوطي (د. محمد سعيد رمضان): هكذا فلندع الى الاسلام، ص 10 و11، مؤسسة الرسالة ومكتبة الفارابي.

وأبو فارس (د. محمد عبد القادر): أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص 32 و34، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1412هـ.

والبهني (د. محمد): من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك، ص 29 و30، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1993م.

5- أن يحسن اختيار من يصادق، وأن يضبط هذه العلاقة، وذلك بعدم طغيانها على وقته ودراسته، أن يحسن كذلك اختيار مجالات الترويج عن نفسه، فيختار النظيف الحلال النافع. وأن يعطي العلم الوقت والاهتمام اللائق به: فهذه الفترة من حياته لها ما بعدها.

6- أن يكون منظماً في شؤونه كلها، في البيت والمدرسة والكلية والمطالعة ... وأن يكون نظيفاً في داخله وخارجه، حتى يستطيع التأثير في غيره⁽⁴⁾.

أثر كليات الشريعة:

قال تعالى: "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر"⁽⁵⁾. ومما لا شك فيه أن عمارة المساجد مادية ومعنوية. فالمادية: بناؤها وصيانتها ونظافتها، والمعنوية: عبادة الله فيها بأوسع معاني العبادة⁽⁶⁾.

والمسلمون جميعاً مطالبون ومعنيون بعمارة المساجد المادية والمعنوية، بشكل مباشر وغير مباشر، وعلى رأس هؤلاء جميع موظفي الأوقاف، من أئمة وخطباء ووعاظ ومؤذنين وخدم وأساتذة وطلبة كليات الشريعة، ولجان المساجد، والجماعات الإسلامية، والدعاة إلى الله، وعامة المصلين.

ومما يؤسف له أن معظم كليات الشريعة والمساجد لا تؤدي دورها المطلوب في حياة المسلمين اليوم، بالتالي فإن أثر أساتذة وطلبة الشريعة ضعيف في حياة الأفراد والمجتمعات والدول، وذلك بسبب عوامل داخلية وخارجية لعل أهمها:

الأنظمة والسلطات الحاكمة، ومناهج التربية والتعليم المطبقة في مختلف مراحل التعليم، ووسائل الاعلام المختلفة التي تدعو للزيلة وتحارب الدعوة والدعاة، واختلاف وتعدد الجماعات الإسلامية، والجهل المطبق بأحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية، وضعف الوازع الديني عند الناس

(4) مشهور (مصطفى): القدوة على طريق الدعوة، ص 138 فما بعده، ط 1، 1406هـ.

(5) سورة التوبة (18).

(6) انظر: قطب (سيد): في ظلال القرآن 1614/3، دار الشرق، ط 2، 1395هـ.

وحوى (سعيد): الأساس في التفسير، 2229/4، دار السلام، ط 1، 1405هـ.

وجب الدنيا وكراهية الموت، وسيطرة المستغربين والعلمانيين على مختلف مجالات الحياة، وتخطيط ومكر أعداء الله في الصد عن سبيل الله، ومحاربة الدعوة والدعاة، ونهب خيرات المسلمين عن طريق: الاستعمار (الاستخرا ب والاحتلال)، والتبشير (التنصير)، والاستشراق، وانتشار البدع والخرافات والعادات الجاهلية، وقلة العلماء العاملين المخلصين الربانيين الزاهدين⁽⁷⁾.

لقد كان المسجد من أقوى ما يعد النفوس لتلقي الإلهامات الروحية التي تضيء للمؤمنين سبيل الهداية والتوفيق ... ومن هنا أوجب الاسلام أن يسود في المساجد مظهر الخشوع والسكينة والبعد عما يكدر صفو الروحية التي يسعون إليها ويلتمسونها بالصلاة الجامعة.

إن للمسجد مكانة هامة في الاسلام وفي حياة المسلمين: فليس هو ديراً للرهبنة، ولا زاوية للمتعطلين، ولا تكية للدراويش ... وما كان المسجد في فجر الاسلام إلا جامعة شعبية للتثقيف والتهديب، وبرلماناً محلياً للتشاور والتفاهم، ومجمعاً للتعارف والتحاب، ومعهداً للتربية العملية الأساسية⁽⁸⁾.

الصعوبات التي تواجه الكليات الشرعية:

هناك عوامل داخلية وخارجية وأسباب مباشرة وغير مباشرة كثيرة تعيق كليات الشريعة عن أداء دورها في حياة المسلمين، فإذا استطعنا تشخيص الداء فإن العلاج سهل بإذن الله: فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله)⁽⁵⁾.

(7) انظر: قطب (محمد): واقعا المعاصر، ص12 و361 و528 فما بعدها، مؤسسة المدينة، ط1، 1407هـ.

والباحث: حاضر العالم الاسلامي، ص32 و33، فلسطين، ط1، 1411هـ.

وخطاب (محمود شيت): حاضر المسلمين بين الآلام والأمال، ص9-16 (بدون تاريخ).

(8) انظر: شلتوت (محمود): الفتاوى، ص84، دار الشروق، مصر.

والقرضاوي (د. يوسف): العبادة في الاسلام، ص225 و226، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط4، 1395هـ.

(5) رواه مسلم في كتاب الحج، حديث 1218.

ورواه ابن حجة في كتاب المناسك، حديث 3074.

- 1- ضعف إيمان طلبة الشريعة بقيمة ما تعطيه كليات الشريعة من ثقافة وعلوم، وإيمانهم بضآلة الفائدة التي تحصل لهم من هذا الطريق الملتوي الطويل الشاق، المكلف للجيوب، والمرهق للجسم، والمتعب للعقل.
- 2- تشكك معظم الطلبة في إخلاص وعلم وخلق المدرسين والعاملين في هذه الكليات، والنظر إليهم على أنهم يحترفون بصناعة التعليم الشرعي، كغيرهم من الموظفين والمهنيين.
- 3- ضعف الصلة بين المدرسين والطلبة، فقد تحولت الكليات الشرعية من أسر مؤتلفة يسودها الإخاء والتعاون والحب والاحترام الى مصالح محدودة مؤقتة، لا تأثير لها خارج قاعة التدريس.
- 4- عدم طرح الكليات الشرعية دعوة حقيقية يؤمن بها الشباب ويتحمسون لها بقوة، بحيث تستحوذ على مشاعرهم، وتجعلهم بمأمن من أن يكونوا فريسة الانحراف أو الدعوات الهدامة.
- 5- عجز الكلية عن إيجاد العاطفة القوية الدافقة والإيمان الملتهب في نفوس الطلبة، حيث إن العلاقة قائمة في معظم الأحيان على الرسميات والشكليات والعلامات فحسب. إن إهمال هذا الجانب قد جنى على نظامنا التعليمي، وأفقدته العمق والرقعة والسمو وقوة المقاومة وصلاحية الإبداع، فأصبح نظامنا التعليمي نظاماً جامداً لا حراك فيه، وأصبحت مراكزنا الثقافية وجامعاتنا الإسلامية مراكز حياة رتيبة جامدة راكدة تتحكم فيها القوانين واللائحات!
- 6- ندرة من يأتي للكليات الشرعية من الطلبة مخلصاً محباً محتسباً مرضاة الله، معتزلاً بوظيفته، متضلعا من دعوته، متسامياً برسالته، يعطي ولا يأخذ، يؤثر ولا يتأثر، يتمرد على الشهوات ويبتعد عن الشبهات.
- 7- قلة المدرسين الأكفاء والأساتذة الدعاة والشخصيات المؤثرة من القائمين على الكليات الشرعية الذين يستطيعون صناعة الرجال، والذين يعتبرون أنفسهم وفقاً لله تعالى وخدمة للدعوة والدعاة.

8- قيام الأنظمة الحاكمة ووزارة الأوقاف والمسؤولين بالجامعات في معظم الدول الإسلامية بتحجيم كليات الشريعة، والتضييق عليها وشل أو إعاقة دورها ف المساجد وبين الناس⁽⁶⁾.

علاج هذه المشكلات وحلها:

1- إثارة الايمان والإخلاص في نفوس الشباب، والاهتمام الزائد بقيمة العلم ومنزلة العلماء، والتحذير من طلب العلم لغير الله.

إن مرض طلبتنا اليوم هو عدم الجدية وعدم التفكير في الغاية من طلب العلم، إن غالبية الطلبة لم يفكروا في يوم ما: لماذا يتعلمون ؟ وبذا فقد بدأوا عملهم من غير تفكير ولا تصميم ولا غاية !!

ومن هنا تتبع أهمية الايمان في إثارة النفوس نحو بذل النفس والمال والوقت والجاه في سبيل خدمة الاسلام والمسلمين للفوز برضوان الله.

2- إن مشكلات كليات الشريعة كثيرة متجددة، والمفتاح الرئيس الوحيد لحلها جميعها: هو وجود الاساتذة الدعاة الذين أكرمهم الله بقوة الشخصية ورسوخ الايمان وغزارة العلم والتفكير السليم والحنكة السياسية. إن العاطفة الاسلامية القوية هي الثروة الكبرى والطاقة الهائلة التي يمكن الاعتماد عليها في حل جميع المشكلات.

3- إيجاد دعوة ايجابية قوية، تشغل عقول الشباب، وتستولي على مشاعرهم، وتحرك ملكاتهم العلمية وطاقتهم العملية الكامنة في صدورهم، ولا تدع مكاناً لدعوة أخرى غيرها. ويمكن إثارة هذه الدعوة وتنميتها: عن طريق دراسة السيرة النبوية الشريفة وحياة الصحابة الكرام والمجددين والابطال والمصلحين.

4- العمل على إيجاد نظام اجتماعي -رواقي- يعيش فيه الشباب الجامعي حياة اجتماعية اسلامية، تحت اشراف أساتذة ومراقبين اكفاء، يشعر الطلبة بحرارة إيمانهم ورقة قلوبهم، فيقتدون بهم بدافع من الحب والاحلال والجمال والكمال، ويتخذونهم قدوة في الحياة.

(6) الندوي (أبو الحسين): الطريقة المثلى لإعداد خريجي الجامعات الإسلامية، ص11، مكتبة الهداية، 1413هـ.

5- تنظيم محاضرات عامة يدعى لها كبار العلماء وأقطاب الفكر والدعوة الإسلامية: تغرس في قلوب الطلبة العقيدة القوية، وتلهب في صدورهم الجمرة الإيمانية، وتعيد في نفوسهم الثقة في التعاليم الإلهية وحتمية الحل الإسلامي، وتتناول هذه المحاضرات القضايا التي تشغل العالم الإسلامي والشباب بصفة خاصة، والتحديات التي تواجه الصحة الإسلامية المعاصرة، وطرح الحلول المناسبة لما يواجه الدعوة والدعاة من مشكلات عديدة، في ضوء الكتاب والسنة.

6- حل العقد النفسية للشباب حلاً رقيقاً مناسباً بحيث لا يشعرون بأنهم يمرون بمرحلة عملية جراحية، وأن يتعاون الأساتذة مع الاهالي والمسؤولين على رفع مستوى الطلبة روحياً وفكرياً ودعويّاً.

7- الاعتماد في انارة عقول الشباب على ندوات دورية خاصة بهم، ينفق لها خيرة العلماء العاملين المجاهدين الصادقين الزاهدين.

8- تذكير كل من يقف في وجه الدعوة، او يحاول التضيق على الكليات الشرعية بأيام الله! (7).

إن اهم الصفات اللازمة للدعاة الى الله: من طلبة وأساتذة وموظفي أوقاف ومدرسين وخطباء وأفراد هي:

أولاً: الصفات الفردية:

وهي أن يقبل كل فرد على نفسه فيجاهدها حتى يجعلها مطيعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، خاضعة لكل ما تتلقى عنهما من أوامر ونواه.

وبعد ذلك تأتي مرحلة هجرة المعاصي والشبهات والشهوات.

وبعد ذلك تأتي مرحلة إصلاح البيت والأهل، والتأثير فب الأقارب والأصدقاء والجيران.

(7) المصدر نفسه، ص20-25 بتصرف.

ثانياً: الصفات الجماعية:

وهي أن يكون بين الدعاة التحاب والتوافق والتعاون والأخوة والإيثار والتواصي بالحق والصبر، وذلك ليتقدموا بأنفسهم ويقدموا غيرهم معهم في سبيل الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: لوازم المجاهدة في سبيل الله:

وهي صفات كثيرة أولها: وعلى رأسها - الصبر: والصبر للجهاد في سبيل الله من عدة ودوه هي: الاحتراز التام من الاستعجال، والاستقامة، والتجلد، وعدم التقهقر في مواجهة الشدائد والعقبات، وعدم اليأس والوهن إذا تأخرت النتائج المرجوة، ألا تنزل الأقدام إذا ما عرضت مواقع الخطر والطمع، وعدم فقدان التوازن في أخرج مواقف العواطف الثائرة، وعدم القيام بأي عمل إلا مع الهدوء وصحة العقل وركود القلب وسكون القوة الإرادية.

وثانيها: حماسة القلب وتعلقه بالغاية المنشودة: وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في أذهان الدعاة، ملتحمة مع أرواحهم ودمائهم آخذة عليهم ألبابهم وأفكارهم، فإنهم لا يقدر أن يحركوا ساكناً !!

وثالثها: الإيثار والتضحية:

التضحية بالوقت وبالجهود وبالكفاءات الفكرية وبالمستقبل اللامع والأمني والآمال.

ورابعها: التعود على العمل بسعي دائم وطريق منظم⁽⁸⁾.

(8) المودودي (أبو الأعلى): تذكرة دعاة الاسلام، ترجمة: خليل الحامدي، ص33-49 بتصرف، مؤسسة الرسالة، لبنان.